قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

خِطابُ الحَسمِ في القُرآنِ الكريم– دراسةٌ سيميائيَّة

"The Discourse of Definitiveness in the Holy Quran: A Semiotic Study

أ.م.د. إيمان عبد الحسن علي*

جامعة بابل/ كلية العلوم الإسلاميَّة

Keywords

Decisiveness, Qur'anic discourse, the authority of meaning, central duality, linguistic structure

Abstract

This research seeks to reveal the semantic mechanisms and deep structures that constitute the discourse of decision in the Holy Qur'an by employing the semiotic method and utilizing the procedural concepts presented by the French critic Greimas, especially the semiotic square, the actantial model, and the deep structure, as tools capable of eliciting the semantic patterns underlying the linguistic structure of the text. To achieve this, the study analyzed selected models of Qur'anic verses in which the manifestations of doctrinal, legislative, and moral decision are evident. The research concluded that the discourse of decisiveness represents a cognitive strategy aimed at establishing certainty and directing awareness, and establishing the argument through a coherent system in which the linguistic and pragmatic dimensions are integrated. The importance of the study lies in enriching the field of Qur'anic studies and presenting an analytical approach that contributes to expanding the horizons of reading the Qur'anic text in light of modern critical approaches.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول: ٢٠٢٦/٦/١

الكلمات المفتاحية:

الحسم، الخطاب القرآني، سلطة المعنى، الثُنائيَّة المركزيَّة، البنية اللغويَّة.

المستخلص

يسعى هذا البحث الموسوم بـ(خِطَابُ الحسم في القرآنِ الكريم دراسةٌ سيميائيَّة) في ضوء نظرية غريماس إلى الكشفِ عن الآلياتِ الدِّلاليَّة والبنى العميقة التي تُشكل خِطَابَ الحسم في القرآن الكريم من خلال توظيف المنهج السيميائي واستثمار المفاهيم الإجرائية التي قدَّمها الناقد الفرنسيّ غريماس ولا سيِّما المربع السيميائي، والنموذج العاملي والبنية العميقة بوصفها أدوات قادرةً على استنطاق الأنساق الدِّلاليَّة الكامنة وراء البنية اللغويَّة للنَّصِّ، ولتحقيق ذلك عمدت الدِّراسة إلى تحليلِ نماذج مختارة من الآياتِ القرآنيَّة التي تتجلَّى فيها مظاهرُ الحسم العقدي والتشريعي والأخلاقي. وخلص البحثُ إلى أنَّ خطابَ الحسم يمثلُ استراتيجيةً معرفيَّة تَهدفُ إلى ترسيخِ اليقين وتوجيه الوعي، وإقامةِ الحجة من خلال منظومة متماسكة تتكاملُ فيها الأبعادُ اللغويَّة والتَّداوليَّة، وتتمثلُ أهميةُ الدِّراسة في إثراءِ حقل الدِّراسات القرآنيَّة وتقديم مقاربة تحليليَّة تُسهمُ في توسيعِ آفاق قراءةِ النص القرآني في ضوءِ المناهج النقديَّة الحديثة.

***Dr. Iman Abdul Hassan Ali**

qur.eman.abdul@uobabylon.edu.iq

١.المقدمة

يُعدُّ القرآنُ الكريم النَّصَّ المؤسس للثقافة العربيَّة الإسلاميَّة لما يَحملهُ من إعجازٍ لغوي وطاقةٍ دلاليةٍ متفردة، جعلت منه الأنموذجَ الأعلى في بناءِ الخطابِ وتوجيه المعنى وصياغةِ الرؤية الكونيَّة والإنسانيَّة، ويتسم الخطاب القرآني بكثافة بيانيَّة وإيحائيَّة تتيح تعدد مستويات الفهم والتأويل، غير أنَّ هذا الانفتاح الدلالي لا يحولُ دون وجود مواضع يحسم فيها النصُ وجهةَ المعنى ويقيِّد إمكانات التأويل ويفرضُ فيها النص سلطةَ المعنى في صورةٍ نهائيةٍ ملزمة، وفي هذا السياق تتبلورُ فكرةُ خطابِ الحسم دراسة سيميائيَّة بوصفها مقاربةً تحليليَّةً تسعى إلى الكشفِ عن تلك البنى اللغويَّة التي يتأسَّسُ عليها الخِطَابُ القرآني في لحظاتِ التَّقرير النهائي سواء أكان في مجال العقيدة أم التشريع أم الموقف الوجودي من الإنسان والعالم.

أهميةُ البحث: تنبعُ أهميةُ الموضوع من كونهِ يُسلطُ الضوءَ على جانبٍ مهمٍ من الإعجاز الخطابي في القرآن الكريم، ويكشفُ عن آلياتِ بناءِ المعنى في النص القرآني من منظورٍ سيميائي حديث يربطُ بَينَ اللغةِ والدِّلالةِ والوظيفةِ التَّواصليَّة، وَيَفتحُ المجالَ أمامَ قراءةٍ تحليليَّةٍ حديثة تنظرُ إلى العلامة اللغويَّة بوصفها بنيةً منتجةً للمعنى، وإلى السِّياق بوصفه عنصرًا فاعلاً في تحديدِ درجاتِ الدِّلالة بين الانفتاحِ والإغلاق، وبين الاحتمالِ والقطع، ومن ثم فإنَّ دراسةَ خطاب الحسم تتيحُ فهمًا أعمق لآلياتِ السُّلطة الدلاليَّة في النَّص القرآني وكيفية انتقال الخطاب من مستوى الإقناع إلى مستوى الإلزام، ومن تعددِ المعنى إلى تثبيتهِ في صيغةٍ نهائية، وبناءً على ذلك تهدفُ هذه الدِّراسةُ إلى تحليلِ نماذج مختارة من النصوص القرآنيَّة التي تمثلُ خطابَ الحسم والكشفَ عن بنيته السَّطحيَّة والعميقة وبيانَ آلياته اللغويَّة السِّيميائيَّة، وتحديدَ وظائفه التداوليَّة في التأثير على المتلقي. أمَّا عن سبب اختيار الموضوع فيكمنُ في أنَّه لم يحظَ الموضوع – بحسب اطِّلاع الباحث– بدراسةٍ مستقلة تجمعُ بين خطابِ الحسم والمنهجِ السيميائي في إطارٍ واحد.

إشكالية البحث وتساؤلاته: تكمنُ إشكاليةُ البحث في محاولة فهمِ كيفيةِ اشتغال خطاب الحسم في القرآن الكريم بوصفه نظامًا دلاليًا يمزجُ بين الإقناع والتأثير، وغلق المجال أمام التعدد الدلالي في القضايا الأساسية وتتمحورُ تساؤلات البحث حول الأسئلة الآتية:

- ما مفهومُ خطاب الحسم في القرآن الكريم؟
- كيف يمكن الإفادة من المنهج السيميائي في تحليل الخطاب القرآني؟

- كيف تتجلَّى البنى السيميائيَّة في خِطَاب الحسم من خلال الألفاظ والصور والإيقاع والتركيب؟
- ما أثرُ السِّياق القرآني في ترسيخ دلالات الحسم؟

منهج الدِّراسة: وقد اعتمد البحثُ المنهج التحليلي السيميائي بوصفه المنهج الأنسب للكشف عن البنية الدلاليَّة في خطاب الحسم في القرآن الكريم في ضوء تحليل النصوص القرآنية المختارة. كما أفادت الدراسة من المنهج الوصفي في عرض المفاهيم المتعلقة بخطاب الحسم والسيمياء.

الدراسات السابقة: أما عن الدِّراسات السَّابقة لموضوع البحث فإنَّ أبرزها ما يلي:

١- العلاقاتُ الدِّلاليَّة في آيات السلم والحرب في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النص: سعيد سلمان الهاشمي، حسين نعيم حريجة، بحث منشور في مجلة كلية التربية للعلوم الإسلامية جامعة واسط، مج٢، ع٤١، ٢٠٢٠م.

٢- الأبعادُ التداوليَّة للأفعال الكلاميَّة السيميائيَّة في سورة المزَّمّل دراسة تحليلية تطبيقية: نوَّاف عبد الكريم إبراهيم غرايبه، بحث منشور في المجلة العلمية–جامعة الأزهر، ع٤٣، ج٣، ١٤٤٦هـ–٢٠٢٤م.

٣- الخطابُ الإشهاري في آياتِ الغيب دراسةٌ سيميائيَّةٌ، محمد عبد أبوجاسم وعلاء عبد الأمير شهيد، بحث منشور في مجلة لارك، جامعة واسط، مج١، ع٥٢.

وعلى الرغم من تعدد الدِّراسات السِّيميائيَّة التي قاربت الخطابَ القرآني فإنَّها لم تتجه إلى دراسةِ خِطَابِ الحسم بوصفه نسقًا دلاليًا مستقلًا يمتلكُ آلياته الخاصَّة في إنتاجِ اليقين وإنهاءِ الاحتمالِ التأويلي وترسيخِ سلطةِ المعنى.

خطة البحث: وقد اقتضت طبيعةُ البحث تقسيَمه على مبحثين، تسبقهما مقدِّمة وتليهما خاتمة ثمَّ قائمة بمصادر البحث ومراجعه، خُصِّصَ المبحث الأول للدراسة النظريَّة والتعريف بمكوناتِ البحث وهي:(الخطاب، الحسم، الخطاب القرآني، والسيميائية)، وفي المبحث الثاني تناولت: الجانب الإجرائي لخطاب الحسم في السِّياقات الموضوعيَّة في القرآن الكريم وهي السِّياق العقدي والسِّياق التشريعي والسِّياق الأخلاقي، وَخُتِمَ البحثُ بخاتمةٍ ذكرتُ فيها أهمَّ النتائج التي توصلتُ إليها.

٢.المبحث الأوَّل: الدِّراسة النظريَّة للبحث

أولا: مفهومُ الخطاب

الخِطابُ لغةً واصطلاحًا:

وردت مادةُ الخِطَاب في المعجمات العربيَّة بمعنى((مراجعة الكلام، والخُطبة: مصدر الخطيب. وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخِطبة قام في النادي فقال: خِطْبٌ))[١]، قال ابن فارس(ت٣٩٥ه):((الخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ))[٢]، والخِطَابُ:((كلُّ كلامٍ بينكَ وبين آخر))[٣]، ويقال:((خَاطَبُه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام))[٤]، وخَاطَبَهُ خِطَابًا ومُخَاطَبَةً وَهُوَ الْكَلَامُ بَيْنَ ((مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْخُطْبَةِ بِضَمِّ الْخَاءِ وَكَسْرِهَا بِاخْتِلَافِ مَعْنَيَيْنِ فَيُقَالُ فِي الْمَوْعِظَةِ خَطَبَ الْقَوْمَ وَعَلَيْهِمْ مِنْ بَابِ قَتَلَ خُطْبَةً بِالضَّمِّ وَهِيَ فُعْلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ نَحْوُ نُسْخَةٍ بِمَعْنَى مَنْسُوخَةٍ وَغُرْفَةٍ مِنْ مَاءٍ بِمَعْنَى مَغْرُوفَةٍ وَجَمْعُهَا خُطَبٌ مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ فَهُوَ خَطِيبٌ وَالْجَمْعُ الْخُطَبَاءُ وَهُوَ خَطِيبُ الْقَوْمِ إِذَا كَانَ هُوَ الْمُتَكَلِّمَ عَنْهُمْ))[٥] . يَتبينُ لنا من الرُّجوعِ إلى المعاجم اللغويَّة أن مفهومَ الخطابِ لا يخرجُ عن الكلام الموجَّه إلى الغيرِ للإفهامِ بقصدِ التأثيرِ، وقد ارتَبطَ الخِطَابُ منذ بداياتِه بالفعلِ التَّواصلي الذي يتجاوزُ حدودَ اللغة إلى السِّياق.

ثانيًا: الخِطابُ في الدِّراسات اللسانيَّة الحديثة:

يحتلُّ مفهومُ الخِطابِ موقعًا محوريًّا في اللسانيات المعاصرة إذ يُنظر إليه بوصفه وحدةً تواصليَّة تتجاوزُ الجملةَ، وتتشكلُ من مجموعةٍ من العناصر اللغويَّة والسِّياقيَّة المتفاعلة، فهو((نصٌّ مكتوبٌ يُنقلُ من مرسِل إلى مرسَل إليه، يتضمن عادة أنباءً لا تخصُّ سواهما))[٦]. وبناء على ذلك فإنَّه يتشكلُ من مجموعةٍ من((النصوص ذات العلاقات المشتركة، أي: أنَّه تتابعٌ مترابطٌ من صورِ الاستعمالِ النصي يُمكنُ الرجوع إليه في وقتٍ لاحق، وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاقتران في الذاكرة من خلال استعمال النص فإنَّ عالمه هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما ... التي جرى التعبير عنها في إطار ما))[٧] فيبرز هذا التمييز أنَّ عالم النص يرتبطُ بالمحتوى المعرفي وما ينقلهُ من معلومات، في حين يتجاوزُ عالمُ الخطاب حدودَ النص إلى سياق إنتاجه

١– ينظر: كتاب العين: للخليل: ٢٢٢/٤(خطب)، وتهذيب اللغة، الأزهري:١١١/٧(خ ط ب).

٢– يُنظر: معجم مقاييس اللغة: ١٩٨/٢(خ ط ب).

٣– مجمل اللغة: أحمد بن فارس: ٢٥٩/١(خ ط ب).

٤– أساس البلاغة: الزمخشري: ٢٥٥/١.

٥–المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي: ١/ ١٧٣.

٦–معجم المصطلحات العربية في الأدب: ١٥٩.

٧– النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسن: ٦.

وتداوله، بما يشتملُ عليه من ممارسات تواصليَّة وعلاقات ثقافيَّة تشترك فيها الجماعة في مجتمعٍ ما.

ثالثًا: مفهوم الحسم

الحسم لغةً واصطلاحًا:

من معاني الحسم في اللغة ((القطع، وسمي السيف حساماً))[١]، وحَسَم العِرْق يَحْسِمه حَسْمًا – قطَعَه ثمَّ كَوَاه حَتَّى لَا يَسيل دمهُ[٢]، و((حَسَمَ (الداء) حسمًا قطعه بالدَّواء. وحَسَمَ فلانًا الشيء حسمًا: منعه إياه، يقال: أنا أحسمُ على فلان الأمرَ، أي: أقطعه عليه لا يظفرُ منه بشيء))[٣]، و(الأحسم) الرَّجل الْكيِّس الَّذِي يفصلُ فِي الْأُمُور بحزم[٤]، ويُقَال رَأْي (حاسم) أي: قَاطع للجدل، و(الحسام): السَّيْف الْقَاطِع، وحسام السَّيْف: طرفه الَّذِي يضْرب بِهِ، و(الحسوم) الشؤم، وَيُقَال: أَيَّام حسوم وليالٍ حسوم انْقَطع خَيرهَا الحَسْم قطْع الشيء استئصالاً[٥] . وفي القرآن الكريم وردت مادةُ الحسم مرة واحدة[٦]، في قوله تعالى:﴿**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**﴾ الحاقة/٧، والمعنى أي حسمتهم لم تبق منهم أحدًا، وحسومًا بمعنى: التتابع[٧]، من حسمت الدابة إذا تابعت كيها على الداء مرة بعد مرة حتى ينحسم، أو من الحسم بمعنى القطع ومنه سُمِّي السيف حُسامًا؛ لأنه يقطع الرؤوس، وينهي الحياة، أي أرسل الله تعالى على هؤلاء المجرمين الريح التي لا يمكنها التخلف عن أمره فبقيت تستأصلهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، أي متتابعة ومتوالية حتى قطعت دابرهم[٨].

الحَسمُ اصطلاحًا:

لا يوجدُ تعريفٌ اصطلاحي موحَّد للحسم لذلك نعمدُ إلى صياغةِ تعريفٍ إجرائي بناءً على الدِّلالات اللغويَّة المذكورة في المعجمات اللغويّةَ، فهو البنية اللغويَّة في القرآن الكريم التي تُفيدُ القطعَ النهائي للمعنى. أو هو مجموعةُ الألفاظ التي تفيدُ القطعَ والإلزامَ والتقريرَ في الحُكم من دون ترددٍ أو شكٍّ، والقرآنُ الكريم يُوظفُ خطابَ الحَسمِ لإقرارِ حقيقةٍ ما، أو نفي باطل، أو إنهاءِ جدلٍ بصيغةٍ قطعيَّة جازمة لا تحتملُ التردد والتَّعددَ الدِّلالي في السِّياق وانتاج معنى القطع واليقين.

رابعًا: الألفاظ المناظرة لمعنى (الحسم) في القرآن الكريم:

١- مجمل اللغة، ابن فارس،١/ ٢٣٢(ح س م).

٢- يُنظر: المخصص، ابن سيده (ت ٤٥٨هـ): ١/٢٢٤.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي(ت ١٢٠٥هـ): ٣١/٤٨٧(ح س م).

٤- المعجم الوسيط: ١/١٧٣(ح س م).

٥- ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، ابن المطرز:١/٢٠٣.

٦- ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: ٣٠٢.

٧- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (ت٣١٠هـ): ٢٣/ ٥٧٣.

٨- ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ١/٧١.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ هناك ألفاظًا مناظِرةً لمعنى الحسم وردت في القرآن الكريم تؤدي وظيفةَ إنهاءِ الجدلِ وحسمِ الموقفِ وتثبيتِ الحقيقةِ في الخِطَابِ القُرآنيِّ وهي:

١- القضاء: مادة (ق ض ى) في اللُّغَة القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام من قولك قضاه إذا أتمه[١]،((على وُجُوه مرجعها إِلَى انْقِطَاع الشَّيْء وَتَمَامه والانفصال مِنْهُ)[٢]، و(القضاء): و(القضاء): الحكم والجمع (الأقضية)، يدل على إبرام الأمر وإمضاء الحكم[٣]، كما في قوله تعالى:﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾ الإسراء/٢٣، وقوله: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ البقرة/١١٧ .

٢- الفصل: القضاءُ بَين الحقّ وَالْبَاطِل، وَاسم ذَلِك الْقَضَاء الَّذي يَفصل فيصل. وَهُوَ قضاءٌ فيْصلٌ وفاصل[٤]، قال تعالى:﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ**﴾ الطارق/١٣.

٣- الحكم: (حَكَمَ) الْحَاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ[٥]، و(الحكم) القضاء وقد حكم بينهم يحكم بالضم حكمًا وحكم له وحكم عليه[٦]، قال تعالى:﴿**قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾الزمر/٤٦،وقال تعالى:﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ الشورى/١٠.

٤- القطع: يشير إلى معنى الحسم النهائي وكلام قاطع، على المثل، كقولهم: نافذ[٧]، قال تعالى:﴿ **فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ الأنعام/٤٥.

٥- العزم: يدل على القرار النهائي الذي لا تردد فيه وعزم على كذا أراد فعله وقطع عليه وبابه ضرب[٨]، كما في قوله تعالى:﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ آل عمران/١٥٩ .

١- ينظر: الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ): ١/ ١٩٠.

٢- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، أبو الفضل السبتي (ت ٥٤٤هـ): ٢/ ١٨٩.

٣- يُنظر: مختار الصحاح، الرازي (ت ٦٦٦هـ):١/ ٢٥٥.

٤- يُنظر: تهذيب اللغة(ت ٣٧٠هـ)،:١٢/ ١٣٥(ف ص ل).

٥- يُنظر: مقاييس اللغة: ٩/٢ (ح ك م).

٦- يُنظر: مختار الصحاح:١/ ٧٨(ح ك م).

٧- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (ت٤٥٨هـ): ١/١٦١(ق ط ع).

٨- ينظر: مختار الصحاح،١/ ٢٠٨(ع ز م).

خامسًا: الخطابُ القرآني وخصوصيُته:

يُشكِّلُ الخِطابُ القرآنيُّ أحدَ أكثرِ الخِطَاباتِ الإنسانيَّة كثافةً مِن حيثِ البنيةِ الدِّلاليَّة والقدرة التَّأثيريَّة، فالخِطابُ القُرآنيُّ خِطَابٌ مَصدرُهُ إلهيٌ لم يستطع أحدٌ إلا كَما سمَّاه الله عز وجل في كتابهِ الكريم حيث سمَّاه (الكتاب): كما في قوله تعالى:﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ البقرة/٢، أي: متفردٌ عن غيره من الخِطاباتِ وفي كلِّ مستوياتهِ الصَّوتيَّة والمعجميَّة والتركيبيَّة والإيقاعيَّة والتداوليَّة[١]، والخِطابُ القُرآنيُّ يَميلُ إلى((مرجعيَّة ثلاثيَّة فهناك مرجعية الدَّال ويكون النصُ على مثال مرسله، وهناك مرجعيةُ المدلول ويكون النصُ فيها على مثال متلقيه، وهناك أخيرًا مرجعيةُ النص نفسه على نفسه ويكونُ النصُ فيها دالًا ومدلولًا خالقًا لزمنه الخاص ودائرًا مع زمن المتلقين في كل العصور، وسمةُ القراءة في كلِّ ذلك أنَّ كلَّ واحدةٍ من هذه المرجعيات تستقلُ بذاتها وتطلبُ الأخرى في الوقت ذاته))[٢]. ومن ميزاتِ الخِطَابِ الخِطَابِ القُرآنِي أنَّه يتَّسمُ بالثَّباتِ والحسمِ ورَفضِ المساومةِ والتَّنازل في القضايا الاعتقاديَّة كما قال الله تعالى:﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ۞لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ۞وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ۞ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ۞ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ سورة الكافرون: ١–٦ ، ويستخدمُ القرآنُ الكريم أسلوبَ الحسم مع الكل من دون استثناء بما في ذلك الأنبياء والرُّسل وعبَّر عن هذا المعنى القرآن الكريم[٣]، بقوله: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ سورة الزمر/٦٥.

سادسًا: السِّيميائيَّةُ وتحليلُ خطابِ الحَسم

تُعدُ السِّيميائيَّةُ من المناهجِ النقديَّة الحديثة التي تَهتمُ بتحليلِ البنى الدلاليَّة العميقة للنصوص، ومن أبرز روَّادِها جوليان غريماس الذي أسسَ نموذجًا تحليليا قائمًا على البنية الدلاليَّة والعلاقات الفاعليَّة داخل الخطاب، وينظر غريماس إلى السِّيميائيَّة بأنَّها علمٌ يدرسُ أنظمةَ العلاماتِ وآلياتِ إنتاج المعنى داخل الخطاب[٤]،غريماس((الجيرداس جوليان غريماس لساني وسيميائي ويُعدُ مؤسس السِّيميائيات البنيويَّة من أصل ليتواني ولد بروسيا ١٩١٧م،وتوفي في فرنسا ١٩٩٢م يعملُ مُدرِّسًا في مدرسة الدِّراسات العُليا في العلوم الاجتماعيَّة وجامعة

١– ينظر: الخطاب القرآني وأنواعه دراسة بلاغيَّة في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني: خالق داد ملك و معين الحق:٦٢.

٢– مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي:٢٢٠.

٣– ينظر: الخطاب العقائدي بين طريقة القرآن وأسلوب المتكلمين: حسن الخشن مقال منشور على شبكة الانترنت.

٤–دليل الناقد الأدبي،سعد البازعي وميجان الرويلي:١٧٧. الرويلي:١٧٧.

باريس))[١]،وتنطلقُ السِّيميائيَّةُ في تحليلها للنصوصِ الأدبيَّةِ من ((اعتبار النص يحتوي على بنيةٍ ظاهرةٍ وبنيةٍ عميقة يجبُ تحليلُهما وبيانُ ما بينهما من علائق))[٢]، وعند تطبيق نظرية غريماس على الخطاب القرآني يُمكننَا الكشفَ عن آليات خطاب الحسم بوصفه منظومةً دلاليَّة توجِّه المتلقي نحو اليقين الذي يحسمُ التردد والجدل، ولعل سبب اختيار منهج غريماس التحليلي يعودُ إلى أهمية النظريَّة في أنَّها تكشفُ المعاني العميقة وتربطُ اللغة بالبنية الفكريَّة، وتحللُ القيمَ والصِّراعات فتتجاوزُ القراءةَ السَّطحيَّة للنص وتُسَاعدُ في فهمِ ديناميكيةِ الخِطَاب، وتعتمدُ نظريةُ غريماس على أدواتٍ متعددةٍ أهمها:

١- النموذج العاملي:

يتكونُ من مجموعةٍ من العناصر هي[٣]المُرسِل: هو العنصرُ المُحرِّك أو الجهة التي تمنحُ الفاعلَ المهمة وتوجُهه، المُرسَل إليه: هو الذي يستفيد من موضوع القيمة والوصول إلى الموضوع، الذات/ الفاعل: الشخصية المكلفة بمهمة، موضوع القيمة أو الغاية: قد يكون شيئا ماديا أو معنويا، والمساعد: من يقوم بمساعدة الفاعل للحصول على موضوع القيمة، والمعارض: من يقوم بإعاقة أو منع الفاعل من الوصول إلى موضوع القيمة.

٢- المربع السِّيمائي:

يذهب غريماس إلى أنَّ المربع السيميائي بأنَّه((بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتم إنتاج الدلالة عن طريق سلسلة من العمليات الإبداعيَّة لمواقع معينة))[٤]، فوفقًا لتصور غريماس ينهض المربع السيميائي على تمثيل العلاقات المنطقية والدلالية بين الوحدات المعنوية المتقابلة، ويؤسس الناقدُ رشيد بن مالك رأيه على أنَّ المربعَ السيميائي((تمثيلٌ مرئيٌ للتمفصل المنطقي لأي مقولةٍ دلاليَّة يمكن أن يوضحَ ويمثلَ نظام العلاقات بواسطة نموذج منطقي يبرز شبكة العلاقات وتمفصل الفوارق، ويمثلُ المربع السيميائي العلاقات الأساسية التي تخضعُ لها بالضرورة الوحدات الدلالية لتوليد عالم دلالي))[٥] وهو ما عُبِّرَ عنه بأنَّهُ البنيةُ الأوليَّة للدِّلالة ويتحددُ من العلاقات الآتية وهي: التضاد(أبيض/ أسود)والتناقض(أبيض/لا أبيض، أسود/لا أسود) والاقتضاء(أبيض/لا أسود، أسود/لا أبيض)[٦] فكلٌّ معنى في النص لا يقومُ

١- يُنظر: المربع السيميائي ومردوده النقدي في سيميائية غريماس(مقاربة في نماذج جزائرية لمدرسة باريس) رسالة ماجستير، حياة حشلاف، قسم اللغة العربيَّة، كلية الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون– الجزائر، ١٤٤٤ه– ٢٠٢٣م: ١٧.

٢- الاتجاه السيميولوجي و نقد الشعر، عصام خلف: ٤٤.

٣- ينظر: السيميائيات السرديَّة سعيد بنكراد:٨٥– ١٣٧.

٤- المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، أ.ج غريماس وآخرون: ٨٨.

٥- مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر،٢٠٠٠م: ٢٣

٦- ينظر: السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصوّر تصوّر شامل: عبد الواحد المرابط:٤٥، والبنية العميقة

على التَّعارضات الثنائيَّة وإنَّما على تعارضات رباعيَّة[١] .

٣– البنية السَّطحية والبنية العميقة:

تتجلَّى البنياتُ النَّصيَّة ضمن مستويينِ متكاملينِ ينهضان بوظيفة إنتاج الدلالة وتوجيه الخطاب هما البنية السَّطحيَّة والبنية العميقة، فالبنيةُ السَّطحيَّة ذلك التتابعُ الصوتي والشَّكل الفيزيائي للجملة الناتج عن البنية العميقة[٢]، وهي((الكلام المنطوق المرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقواعد التحويليَّة في اللغة فبها يتم انتظام الكلمات في جمل يعبر بها المتكلم عن علاقة ذهنية مجردة (معنى) بكلمات محسوسة منطوقة))[٣]، في حين تُمثلُ البنيةُ العميقة الشكلَ التجريدي الباطني الذي يُمثلُ التفسيرَ الدِّلالي للبنية السَّطحيَّة[٤] ، فهي((الأساسُ الذهني المجرد لمعنى معين يوجدُ في الذِّهن ويرتبطُ بتركيبٍ جمليٍ أصوليٍ يَكونُ هذا التركيب رمزًا لذلك المعنى وتجسيدًا له))[٥] . ويرى غريماس أنَّ((تقابل البنيات العميقة عادة في السيمياء بنيات السطح أو البنيات السَّطحيَّة فإذا ما كانت هذه الأخيرة تعود كما يُقال إلى المجال القابلِ للملاحظة فإنَّ الأولى تعتبرُ مقدَّرةً في الملفوظ. يلاحظ مع ذلك بأنَّ مصطلحَ العمق حاملًا لإيحاءات إيديولوجيَّة، بفعلِ إحالتهِ إلى سيكولوجيةِ الأعماق))[٦]، وهذا يتبين من مستويات اللغة؛ ولأن ((المعنى من إنتاج اللغة، فلا يمكن للسيميولوجيا إلا أن تلجأ إلى اللغة للوقوف على دلالة الأشياء، وبذلك فاللغةُ تعتبرُ نموذجًا للسيميولوجيا إذ هي التي تمدنا بالمعاني والمدلولات))[٧]. فاللغة ليست وسيلة للتواصل فحسب، بل هي الأنموذج الذي يُحتذى به لفهم الدلالة، فكل محاولة لتفسير العلامات والرموز لابد أن تمرَّ عبر اللغة؛ لأنها الأداة التي تمنح الأشياء معناها وتحوُّلها إلى مدلولات يمكن إدراكها، فاللغة هي المرجع الأول للسيميولوجيا هي التي تجعل انتاج المعنى ممكنًا.

٣.المبحث الثَّاني: الدِّراسة الإجرائيَّة لخِطابُ الحسمِ في السِّياقات الموضوعيَّة

أولًا: الحَسمُ في السِّياق العقدي

تُعدُ العقيدةُ الإسلاميَّة المحورَ الأساس الذي يقومُ عليه البناءُ الفكري والروحي في القرآنِ الكريم فقد جَاءَ القرآنُ الكريم ليؤسس منظومةً عقائديَّة واضحةَ المعالم

لعناصر التحويل بالحذف والرتبة في الخطاب الشَّعري الحديث قصيدة ساعة الصفر لمحمد صالح باوية: مريم صاحي، صفية مطهري: ٣١٤.

ينظر: السيمياء العامة وسيمياء الأدب: ٤٥.

٢– ينظر: السيميائية الأصول، القواعد، والتاريخ:٤٨.

٣– السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصوّر شامل: عبد الواحد المرابط:٤٥، والبنية العميقة لعناصر التحويل بالحذف والرتبة في الخطاب الشَّعري الحديث قصيدة ساعة الصفر لمحمد صالح باوية: مريم صاحي، صفية مطهري: ٣١٤.

٤– في نحو اللغة العربيَّة وتراكيبها: ٥٩.

٥– م، ن: ٣١٥.

٦– المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق : أ.غ. غريماس وج. كورتيس وآخرون: ٩.

٧– دروس في السيميائيات، حنون مبارك: ٧٥.

تقومُ على التوحيد والإيمان بالنبوة والبعث والجزاء، ومن هنا يبرزُ خطابُ الحسم بوصفه نمطًا تعبيريًا يتجاوزُ الإخبارَ إلى تقرير الحقائق العقائديَّة تقريرًا قاطعًا يزيلُ الشك ويغلقُ أبوابَ التَّردد والالتباس. وقد اتخذَ خِطابُ الحسم صورًا متنوعةً تمظهرت عبر أساليب التوكيد والقصر والقسم والنفي والاستفهام الإنكاري، وبناء الثنائيات الضديَّة بين الحق والباطل والإيمان والكفر والهدى والضلال، فيواجه الخطابُ القرآني مواقفَ المنكرين ويعمدُ إلى تفكيك الشبهات وإقامةِ الحجة بصورةٍ قطعيّةٍ. ومن تجلياتِ خِطاب الحسم في السِّياق العقدي قوله تعالى:﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾ سورة التوحيد ١– ٤، فالبنيةُ السَّطحيَّة وهي ما صرِّح بها في النص[١]، تكشفُ لنا عن تشكيلِ النص من عناصرٍ لغويَّةٍ مباشرةٍ فكل((عنصر في بنية النص يمثلُ جزءًا في بناءِ دلالتهِ سواءٌ أكانَ العنصرُ صوتيًا أو صرفيًا أو نحويًا))[٢] تؤسس لخِطَابٍ توحيدي يُرسِّخُ فكرةَ الإفراد والتنزيه الذي يتكون من بنيةِ الأمر الخطابي (قُل) فعلٌ خطابيٌ مباشرٌ مُوجَّه للتلقي عبر الرَّسول محمد(**صلَّى عليه وآله وسلَّم**) ثم يُتبع بالجملة الاسميَّة التقريريَّة بخبرٍ تقريري عقائدي (هو الله أحد) ثم ذكر الصفة التنزيهيَّة المتمثلة في قوله (الصمد) ثم بعد ذلك تأتي الجمل الفعليَّة المنفية كالنفي المطلق في قوله:(لم يلد ولم يولد) ونفي المماثلة في (ولم يكن له كفوا أحد). والتكرارُ اللفظي في تكرار اسم الجلالة الله، وتكرار أداة النفي لم لترسيخ الحكم القطعي وإزالة الشك. في حين تتمظهرُ البنيةُ العميقة في محاور مهمة منها:

محور الثُّنائيات الضديَّة التي تتمثل بينَ(التوحيد/ الشرك) ،(الأحدية/ التعدد)، (الكمال/ النقص)، (الاستغناء/ الحاجة)، (التفرد/ المماثلة) هذه الثُّنائيات تفصحُ عن البنيةِ العميقةِ للنص القائم على نفي كلِّ ما يُناقضُ التوحيد. والمربع السيميائي لهذه الثنائية يمكن تمثيلُه بما يلي:

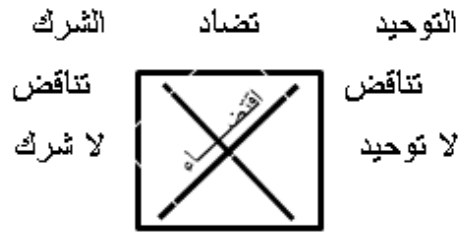

فالنصُ يسعى إلى تثبيتِ وترسيخِ قيمة واحدة مطلقة وينفي احتمالات التشبيه والمشاركة والمماثلة جميعها. والنموذج العاملي يُمكنُ تمثيلُهُ في الذات المتلقي الأوَّل هو الرسول محمد (**صلَّى عليه وآله وسلَّم**)، والموضوع إدراك وحدانية الله، والمرسل الله تبارك وتعالى، والمرسل إليه

١– ينظر: فلسفة المبني للمجهول في العربيَّة، حسين إرشـــيد العظامات:١٢٧.

٢– النحو والدِّلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي والـــدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف: ١٠.

الانسان والمساعد هو الدليل العقلي والمعارض الشرك والتشبيه، مما يتبينُ لنا أنَّ الصراعَ معرفيٌ عقدي بين التوحيد والانحراف. والعلامات السيميائية تتمثلُ في قوله(أحد) تدل على التَّفرد المطلق ووحدة الذات الإلهية ونفي التعدد، وعلامة(الصمد) فهي وحدة دلاليَّة تدل على الكمال والاستغناء والمرجعية المطلقة لكل وجود، و(لم يلد ولم يولد) تعد علامةَ نفيٍ للزمنيَّة نفي البداية والنهاية ونفي النسب والولادة وتثبيت الأزلية و(كفوا أحد)علامة نفي المماثلة أي نفي الشبيه والنظير وإغلاق كل إمكان للتشخيص، فالبنيةُ العميقةُ تصبحُ نظامًا مغلقًا يؤسسُ للتوحيدِ المُطلق، ولا يكتفي النص – حسب التحليل التداولي – بإخبارِ المُتلقِي بأنَّ الله واحدٌ إنَّما يَهدمُ التَّصورات البديلة كلِّها ويغلقُ المجالَ الدلالي أمامَ أيِّ شركٍ ويؤسسُ لعقيدةِ التَّوحيد بوصفها حقيقةً نهائيةً مطلقة، فالبنيةُ التَّداوليَّة للنص تؤكدُ أنَّ الخطابَ في النص القرآني تقريريٌّ يقيني يَهدفُ إلى بناء عقيدة لا تحتملُ التأويلَ، إذ تعملُ على تثبيتِ التوحيد في وعي الإنسان وإعادة تشكيل تصور المتلقي عن الإله الواحد. وفي قوله تعالى:﴿**وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ الإسراء/٨١. يرى المفسرون أنَّ المراد بالحق((الإسلام أو كل ما هو حق. والمراد بالباطل: الشرك أو كل متناف مع الحق، إن الباطل شأنه الزهوق، وعدم الثبات))[١]، ومن منظورِ البنيةِ الدِّلاليَّة للنص القرآني فإنَّ البنية السَّطحيَّة تنبئ عن تأسيس الخطاب على الثنائيةِ المركزيَّة المتمثلة في(الحق، الثبات/الباطل، الزوال) فتتشكلُ بنيةُ الصراع بين الحق بوصفه كيانا يتَّسم بالحركة، بينما الباطلُ الذي يُمثَّلُ بالعنصر الذي لا ثباتَ له، فحضورُ الحق سيؤدي حتمًا إلى غياب الباطل، لأنَّ الزَّوالَ طبيعةٌ تكوينيَّةٌ فيه وليست طارئة عليه فلا يبقى مجالٌ للشك عند المتلقي فيصل إلى اليقين، لأن النصَ القرآني يبني خطابًا قيميًا مغلقًا يحمي العقيدةَ والهويةَ الإيمانية. بناء على النموذج العاملي عند غريماس فالذات هنا تُمثلُ الرَّسول(**صلَّى عليه وآله وسلَّم**)، والموضوع هو تثبيتُ الحق لأنَّه القوة الفاعلة التي تدخل الصِّراع، والمرسِل الله تعالى هو مصدرُ الخِطَاب، والمرسَل إليه الأمة والإنسانيَّة؛ لكونهم المعنيون بإدراكِ الحقيقةِ والانتفاعِ بِهَا والمساعد يتمثلُ في البيانِ القرآني والحُجَّة والمعارض الشُّرك والباطل، ويمكنُ تمثيلُ الآية الكريمة بالمربع السِّيميائي الآتي:

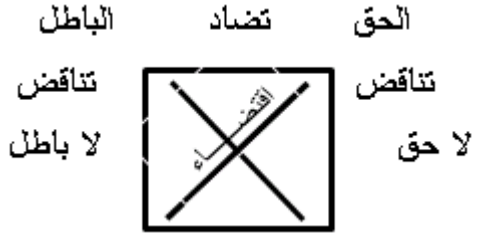

١- التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي:٣٩٢/٢.

فالخطابُ القرآني ينتجُ حسمًا دلاليًا نهائيًا بإقصاءِ القيمِ السَّلبيَّة(الوهم، الزيف، الشك، التردد، غياب اليقين، وترسيخ القيم الايجابيَّة(الحقيقة، الهداية، النقاء، اليقين)، إذًا مجيءُ الحق يؤدي إلى زهوق الباطل وحضورِ الحق يؤدي إلى اختفاءِ الباطل. والبنيةُ العميقة لخِطَابِ الحسم تعتمدُ على تقويضِ المعنى المضاد قبل تثبيت المعنى المقصود فالنفي لا يعملُ منفصلًا عن الاثباتِ يُمهدُ لَه ويؤسسُ سلطَتهُ. وفي نصٍ آخر يظهرُ خِطابُ الحسم في قوله تعالى:﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ الرحمن/٢٦– ٢٧، فالمعنى((إثباتُ الفناء لكلِّ شيء والبقاء للواحد القهار، فهو سبحانه كل يوم هو في شأن وله الكمال والجميع إليه بالافتقار))[١]،إذ تعكسُ البنيةُ السَّطحيَّة للنص استراتيجية لغويَّة قائمة على توظيف تراكيب تُسهمُ في بناء الدِّلالة وتحقيق الاتساق النصي متمثلة في توظيف أداة الشمول(كل) هي أقوى صيغ العموم[٢]؛ لأنَّها تشملُ العاقلَ وغيرَ العاقلِ من حيوانٍ وجماد، مذكرًا ومؤنثًا مفردًا ومثنى وجمع[٣]، فلا تستثني أحدًا من الفناء، ثم تتبع بجملٍ خبريَّة قطعيَّة لا احتمال فيها وتؤدي حكمًا نهائيًا. وممَّا تقدَّم يتبيَّن لنا أن النصُ القرآني يتمحورُ على حُكمينِ متقابلينِ يشكلانِ البؤرة المركزيَّة للخطاب: الأوَّل قوله تعالى:﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، والثاني قوله تعالى:﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، فيتشكلُ تقابلٌ حادٌ بينَ الفناءِ والبقاءِ مع غياب المنطقة الوسطى، وهي النواة الدِّلاليَّة التي تنتجُ سائرَ المعاني وهي ما تشكلُ ثنائيةً مركزيَّةً تنتظمُ حولها ثنائيات عميقة كثيرة هي المطلق/ النسبي، الخالق/المخلوق، الأزلية/ الحدوث، الديمومة/ الزوال، الإلهي/ الدنيوي، فـــ(البقاء) رمز الوجود المطلق والدائم و(الفناء) مصير الموجودات المخلوقة و(لا بقاء) يمثلُ حالةَ الموجودات التي لا تمتلكُ صفةَ الدَّوام الذَّاتي و(لا فناء) الوجود الذي لا يلحقُه زوال وهو الوجود الإلهي.

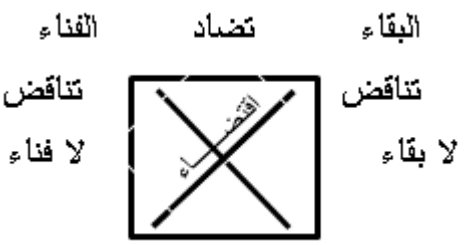

وعليه يمكنُ إعادةُ بناءِ الخطاب وفق النموذج العاملي، فالذَّاتُ الإنسان الباحث عن معنى الوجود والمصير والموضوع إدراك الحقيقة الوجودية، المرسِل الله تبارك وتعالى، والمرسَل إليه البشر، والمساعد التذكير بالمصير، والمعارض وهم الخلود،

١– التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، مأمون حموش: ٥٧٣/٧.

٢– ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربيَّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس:٢١٤.

٣– ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش(ت٦٤٣هـ): ٢٢٦/٢.

والتعلق بالحياة الدنيا. ومن ثم فالبنيةُ العميقة للنص تؤكدُ حقيقةً عقديَّةً مركزيَّة هي أنَّ الفناء صفةُ كلِّ ما سوى الله وإبقاء صفة لله وحده، فحسمُ الصراع يكمنُ في وهم الثبات في العالم وحقيقة البقاء الإلهي المطلق فينتهي المتلقي إلى الإقرار بتفرد الله سبحانه بالديمومة والكمال والسلطان، ومن هنا فالنصُّ القرآني يتحدثُ عن الموت ويؤسسُ لنا دلاليًا الفرقَ بين القيم السَّلبية والقيم الإيجابية، فينتقلُ المتلقي إلى النتيجة النهائيَّة، وهنا يتحققُ خطابُ الحسم بأقصى درجاته؛ لأنَّ الآيةَ القرآنيَّة لا تبني المعنى على الترجيح والجدل وإنما تحسمُ المعنى بشكلٍ يغلقُ كلَّ إمكانٍ للمنازعةِ والتأويلِ المخالف في القضيةِ المطروحةِ في النص.

وفي القَصَصِ القرآني يُلاحظُ أنَّ خطابَ الحسم يُشكلُ سمةً بارزةً في البناء السردي ففي قصة النبي يوسف(**عليه السلام**) في قوله تعالى:﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾ يوسف/٤١، فالمعنى ((قُضِيَ الأمْرُ قطع وتم ما تَسْتَفْتِيَانِ فيه من أمركما وشأنكما فإن قلت: ما استفتيا في أمر واحد ، بل في أمرين مختلفين))[١]، ويتجسَّدُ البناءُ اللغوي للنَّص القرآني في بنيته السَّطحيَّة في وحدتين لغويتين مترابطتين تتضافران في بناء المعنى الأولى:(قُضي الأمر) إعلان عن تحقق الحكم وانتهائه، والثانية(الذي فيه تستفتيان) إحالة إلى سؤالٍ سابق يَتمثلُ في طَلَبِ تفسيرِ الرؤيا، وهي رمزٌ مفتوحٌ فالمعنى الظاهر: كان هناك سؤال وصدرَ حكمٌ نهائيٌ فيه. وإنَّ استعمالَ الفعلِ الماضي في الآيةِ ذات البعد المستقبلي يمثلُ استراتيجيةً سيميائيَّة لتذويب الفاصل بين الزمنين الواقعي والمتوقع، فيُعادُ تمثيلُ المستقبلِ بوصفه حدثًا منجزًا، فالفعلُ قُضِيَ فعل مبني للمجهول يُفيدُ اكتمالَ الحكمِ وانتهائهِ إذ يحملُ دلالةَ الإغلاقِ النهائي ولا مجالَ لإعادة النظر، والإحالة تربطُ النصَ بمرحلة سابقة السؤال في قوله:(الأمر). فضلًا عن أنَّ اختيارَ الأصوات وترتيبها يعزِّزُ معنى القطع واليقين في قوله:(قُضِيَ) فاجتماع صوت القاف مع الضاد وهما من الأصوات الشديدة[٢]، ينسجمُ مع دلالةِ انتهاءِ الأمر وحسمه، ويتركُ أثرًا إيقاعيًا يُوحي بالتقرير القاطع. وانطلاقًا من النموذج العاملي فالذات المستفتيان صاحبا الرؤيا والموضوع الحقيقة المطلوبة في تأويل الرؤيا، والمرسِل النبي يوسف (**عليه السلام**) والمرسَل إليه صاحبا الرؤيا والمساعد العلم التأويلي والقدرة على قراءة الرموز، والمعارض الجهل البشري. فمرحلة ما قبل النص استفتاء وانتظار

١- الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجــوه التأويل:٢/٤٤٤.

٢- ينظر: الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس: ٢٤.

جواب، وأثناء النص لحظة إعلان في حين تمثلُ مرحلةُ ما بعد النص قضاء نهائي/ إغلاق، إذًا فالانتقالُ يتمثلُ من الافتراض إلى التحقق. وفي المقابل تعكسُ البنيةُ العميقةُ ثنائية مركزيَّة بين(الاستفتاء/القضاء) توجِّه مسار التأويل وتنبثقُ عنها ثنائيات متنوعة هي سؤال/ جواب، احتمال/ يقين، غموض/وضوح، انتظار/ إنهاء، تعدد التأويل/ إغلاق التأويل، والمربع السيميائي هو:

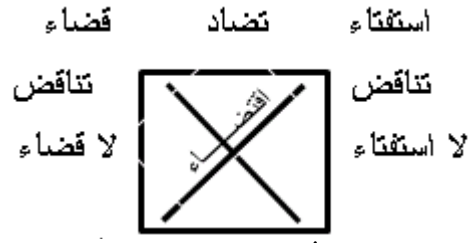

فقوله:(قُضي الأمر) أنهت حالةَ الانتظارِ والشَّك، وأصبحَ حكمًا محسومًا بعد أن كانَ التَّوترُ السَّردي انتظارَ مصيرِ السجينين، ففكُّ التَّوتر أغلقَ بابَ التَّوقعاتِ وحسمَ المصير. وعليه يؤدي أسلوب القصر دورًا مهمًا في خِطَابِ الحَسمِ من ذلك ما وردَ في قِصَّة يوسف**(عليه السلام)** قوله:(إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله) في النص القرآني:﴿ **مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ يوسف/٤٠، يدل البناءُ اللغوي للنص على أنَّه التزم صيغةَ التقرير والإخبار من النفي والاستثناء والدَّلالة المباشرة تعني لا مصدرَ شرعي للحكم إلا الله، ولا تقف الدراسةُ السيميائيَّة عند البنية السَّطحيّة بل تتجاوزها للبحثِ عن نظامٍ قيمي يجعلُ هذه الجملة ذاتَ معنى، وهذا يتحققُ عبر البنية العميقة التي يمكنُ اختزالها في تقابلينِ رئيسينِ: هما القطب الإيجابي ويُمثلُ الوحدة والشَّرعية الحقيقيَّة والقطب السالب ويمثل التعدد والشَّرعيَّة المزعومة وهذا ما يدل عليه السِّياق السَّابق للآية: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّار**﴾ يوسف/٣٩، فيتكون من قطبينِ أساسيينِ الحكم الإلهي/الحكم غير الإلهي، ومن ثم فإنَّ الصراعَ متمثلٌ بينَ مصدرٍ متعالٍ للحكم ومصادر وهميَّة بشريَّة تدَّعي السُّلطة، وانطلاقًا من التَّصور العاملي الذي اقترحه غريماس فإنَّ الذات النبي يوسف**(عليه السلام)** الموضوع الوصول إلى الحقيقة، والمرسل الله والمرسل إليه الناس والمساعد الوحي والعلم والمعارض الأوهام والسُّلطات المزيفة، فلظاهرةُ التَّضاد ((دلالة سيميائيَّة من حيث كونها تثير حركة ديناميكية في السِّياق النصي، وتجعل تفاعل المعاني والأخيلة والأحداث والشخصيات محققا في جوهر واحد يمثله المعنى، مما يسمحُ بإعادةِ ترتيبِ بنيةِ

النص وجعله أكثر تكاملًا وانسجامًا))[١] ،والمربع السيميائي هو:

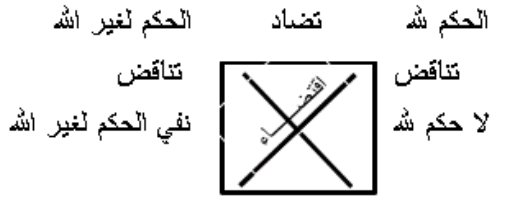

فالقضيةُ المركزيَّةُ ليست الحكم وحده وإنَّما الانتقالُ من التَّعدد إلى الوحدة، فاللهُ هو المركز الواحد للسلطة والمعنى، أمَّا الأربابُ المتفرقون فيمثلون التشتتَ والتعددَ وبذلك تصبحُ البنيةُ العميقةُ وحدةَ المرجع تقابلها تعدد المراجع فالآيةُ تنحازُ إلى قطبِ الوحدة والاعتراف بمرجعية واحدة. وتجسد حركة دلاليَّة تتنقل بالمخَاطَبِ من فضاءِ التَّشتتِ إلى فَضاء الوحدة، وبذلك يُعدُ أسلوبُ القصر آليةً سيميائيّةً لإلغاءِ الاحتمالاتِ المُنافِسة فيغلق فضاءَ المعنى ويمنع التّعددَ حيث تبنى دلالتها على نفي كلِّ مركزٍ للسُّلطة الرَّمزيَّة خارج التَّوحيد.

ثانيًا: خطاب الحسمِ في السِّياق التَّشريعي:

يُعدُ السِّياقُ التَّشريعي في القرآنِ الكريم من أهم المرتكزات التي اعتمدها العلماءُ والمفسرون في فهمِ الأحكامِ الشَّرعيَّة واستنباطِ مقاصدها، وقد جاء خطابُ الحسم مرتبطًا بالسِّياق التشريعي الذي يهدفُ إلى تنظيمِ حياةِ الإنسانِ الفرديَّة والاجتماعيَّة بِمَا يُحققُ الوضوحَ التَّشريعي ويُلزم المكلَّفين بالامتثال، فقد وردَ في القضايا التي تتطلبُ بيانًا واضحًا لا لبسَ فيه كأحكامِ المواريث والعقود والعلاقات الأسريَّة فيرتبطُ خطابُ الحسم بمقاصد الشريعة؛ لأنَّه يسعى إلى حفظِ النظام ومنع الفوضى. ومن ثم فإنَّ دراسةَ خِطابِ الحسم في السِّياق التشريعي تكشفُ عن البعدِ التداولي للنص القرآني وتبرزُ كيفيةَ توظيفِ اللغة في بناءِ سُلطةِ التَّشريع وتأكيدِ المرجعيَّة الإلهيَّة للخطاب. ومن تجلياتِ خِطَاب الحسمِ في السِّياق التشريعي قوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ سورة المائدة /٣ ، فالمعنى:((قد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم عليكم))[٢]، فالتحليلُ السِّيميائي يكشفُ أولًا عن تجلِّي البنية السَّطحيَّة للنص القرآني التي تمثَّلت في افتتاحِ الآية الكريمة بالفعلِ المبني للمجهول قوله (حُرِّمتْ) وغياب الفاعل الظاهر وهذا ما يوجِّهُ الذهنَ إلى المصدرِ الإلهي ويمنحُ الحكمَ سلطةً مطلقةً على التحريم، ويؤدي وظيفةً قطعيَّة تُغلقُ الدِّلالةَ على حكمٍ شرعي نهائي غير قابل للتأويل. إنَّ تقديمَ فعلِ التحريم على المعدودات المُحرَّمة يخلقُ أثرًا نفسيًا استباقيًّا، فالمتلقي يُواجهُ سلطةَ المنع في النص قبل أن يتلَّقى تفاصيلَ الممنوع وبذلك تتأسسُ حالةً من

١- قراءة سيميائية في طوق الحمامة لابن حزم الظاهري، نعمان بوقرة، مجلة جذور ،ع١٢: ٥٣٥.

٢- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)،:٤/ ٦٣٠.

الانضباط الإدراكي تجعلُ الذهنَ يدخلُ إلى الحقل الدّلالي للنص، والألفاظُ المحرَّمة تنتمي إلى حقلٍ دلالي واحد يرتبطُ بالفساد مما يجعلُ التحريمَ عمليةَ تطهيرٍ للإنسانِ والهويةِ الدينيَّة. وهو يُشكِّلُ نموذجًا واضحًا لخطابِ الحسمِ التَّشريعي؛ لأن البنيةَ اللغويَّة فيه تقومُ منذ اللحظة الأولى على انتاجِ معنى القطع والإلزام. والبنيةُ العميقة تتَجاوزُ التركيبَ اللغوي إلى العلاقات الدّلاليَّة الكامنة، فالثُّنائيةُ التي تحكمُ النصَ هي ثُنائيةُ (المباح/المحظور)، فالآيةُ تؤسسُ لقيمةٍ تشريعيَّةٍ تتمثلُ في الامتثالِ إلى الأمر الإلهي، والنموذجُ العاملي يمكن تحديدُهُ كالآتي:

فالذات المؤمن والموضوع الالتزام بالحلال واجتناب الحرام والمرسل الله بارك وتعالى والمرسل إليه الناس والمساعد التشريع القرآني والمعارض الرغبة في مخالفة الحكم الشرعي. أمَّا في قوله تعالى:(وما أهِّل لغير الله) ينقلُ القضيةَ من مستوى الطعام إلى مستوى العقيدة فيصبح الذبحُ لغير الله علامةً سيميائيَّة على اختلال مركزيَّة التوحيد، فالتحريمُ أداةٌ لحمايةِ النظام العقدي للإنسان، ويمكن تمثيل المعنى بالمربع السيميائي الآتي:

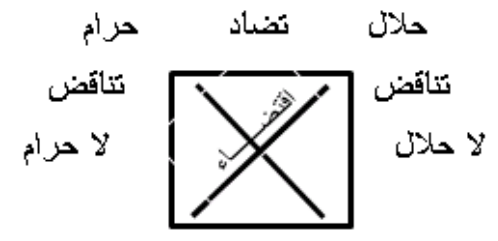

وفي قوله تعالى:﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً**﴾ الإسراء/٣٢، المتأمل للنص القرآني يجدُ((القاعدة التي هي كل نهي للتحريم))[١]، فيتأكَّدُ خِطَابُ الحسم بوضوح، فالبنيةُ الدِّلاليَّةُ السَّطحيَّةُ للنص تَفصحُ عن تركيبِ خِطاب الحسم مؤديًا وظيفة توجيهيَّة تحذيريَّة وفقًا للتداوليَّة، ويتكون النصُ لغويًا من أسلوب النهي بصيغة الفعل المضارع المسبوق بـــ(لا الناهية)، والموضوع هو (الزنا) وتعليل التَّحريم هو قوله: (إنه كان فاحشة)، والنتيجة أسلوب الذم المُوظَف في النص القرآني هي قوله تعالى:(ساءَ سبيلاً). وبحسب النموذج العاملي المقترح فالنص يتكونُ من الذات الإنسان المؤمن والموضوع الطهارة والعفة، والمرسل هو الله سبحانه وتعالى، والمرسل إليه الإنسان والمجتمع، والمساعد القيم الدّينيَّة، والمعارض الشهوة والانحراف، فالصِّراعُ يتجلَّى بين الذَّات السَّاعية إلى الطَّهارة، والمعارض الذي يتمثلُ في الانحراف والشهوة. والبنيةُ العميقة تعتمدُ على التَّضاد القائم بين (الزنا/ الطهارة)،(الفاحشة/العفة)،(سوءالسبيل/الطر يق المستقيم)،(الانحراف/الضبط الأخلاقي)،(الفساد/ النظام الاجتماعي)

١- التقرير والتحبير:٣٩/١.

وتشكلُ البنيةُ الدلاليَّة العميقة للنص، ويمكنُ تمثيلُ الدِّلالة عبر المربع السيميائي:

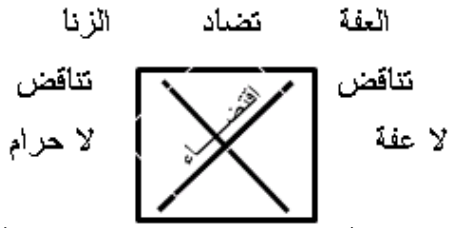

فالعلاماتُ السِّيميائيَّة في النص تَتمثلُ في قوله:(لاتقربوا) علامةٌ على النهي، وعلامةٌ وقائيَّة تُشيرُ إلى سدِّ الذَّرائع ومنع المقدمات، و(الزِّنا) علامةٌ سيميائيَّةٌ للفوضى الأخلاقيَّة، و(فاحشة)علامةٌ سيميائيَّة تحملُ معاني القبح والانتهاك والخروج عن النظام القيمي، وقوله تعالى: (سَاءَ سبيلًا) علامةٌ على الانحرافِ والضياعِ وسوء المصير، فالخِطابُ القرآني اعتمدَ على علاماتٍ لغويَّة تحملُ طَاقةً إيحائيةً وسمت النصَ بالأبعاد السِّيميائيَّة والتَّداوليَّة. فالاقترابُ إذًا علامةٌ سيميائية على كلِّ ما يؤدي إلى الانزلاق الأخلاقي، وبهذا يتحوَّلُ النصُ إلى خِطابٍ وقائي يَستهدفُ البنيةَ العميقة للسلوك الإنساني. وهنا تظهرُ الوظيفةُ السَّيميائيَّة العميقة للخطاب لأنَّ القرآنُ الكريم لا يحاصرُ الجريمةَ بعدَ وقوعها، وإنما يبني حولها دائرةً رمزيَّةً من المنع تبدأ من المقدمات النفسيَّة. أمَّا البنيةُ التداوليَّة فتكشف عن أنَّ الخطابَ هو توجيهيٌ حاسم يهدفُ إلى التأثير في المتلقي في ضوء بناء رقابة داخليَّة من أجل حماية النظام الأخلاقي والاجتماعي. فالتحليلُ السِّيميائي يوضِّحُ أن النَّص يبني نسقًا دلاليًا عميقًا قائمًا على أساس التَّضاد بين ثنائية الطَّهارة والانحراف، والتحذير من المقدِّمات قبل النتائج ممَّا يَعملُ على بنَاءِ منظومةٍ قيميَّة تحمي الفردَ والمجتمع، ومن هنا يتبينُ لنا أنَّ التوكيدَ في خِطَابِ الحَسم يُؤدي وظيفةً تتجاوزُ تقويَّة المعنى إلى إعادةِ بناءِ يقينِ المتلقي نفسيًا وادراكيًا.

ثالثًا: الحسمُ في السِّياق الأخلاقي:

يَتمظهرُ خِطابُ الحَسمِ الأخلاقِي في الآياتِ التي تؤكدُ على المبادئ العُليا كالصِّدق، والأمانة، والعدل، والاحسان، كما يظهرُ في النَّهي القاطعِ عن الظلم، والكذب، والخيانة، والغيبة، ويكتسبُ خطابُ الحسم أهميَته من كونه وسيلةً لتقويم السّلوك الإنساني وترسيخِ الضَّوابط الأخلاقيَّة التي تحفظُ تماسكَ المجتمع .

ومن هنا فإنَّ دراسةَ خِطابِ الحسم في السِّياق الأخلاقي دراسة سيميائيَّة تكشفُ عن البعد السيميائي للنص القرآني ويوضحُ البنيةَ السَّطحيَّة والبنيةَ العميقة وكيفيةِ توظيفِ اللغة القرآنية في بناء الوعي الأخلاقي وتوجيه الإنسان نحو السّلوك القويم. قال تعالى:﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾ النساء/٥٩. البنيةُ السطحيَّة للنص تتكون من جملتين الأولى: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) تركيبُها يتكونُ من أسلوب

التأكيد بـــ(إنَّ الله) ثم يُتبعُ بفعلٍ إلزامي غير مباشر(يأمُرُكم)، والثانية: (وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ)، تتكونُ من الشَّرط وجوابه، وتتسمُ البنيةُ اللغويَّة للنص القرآني بهيمنةَ الأفعالِ عليه وهي: يأمركم فعل مضارع يدل على الاستمراريَّة والتجدد، وتؤدوا فعل مضارع منصوب يُفيدُ التكليف المستمر، وحكمتم وتحكموا مما يدل على أنَّ الأخلاقَ هي ممارسةٌ مستمرةٌ لنظامٍ سلوكي دائم، مما يُضفي عليه طابعًا حركيًّا يعززُ من فاعليةِ الدِّلالة، فضلًا عن أنَّ الفعلينِ تؤدوا وتحكموا ذات جرسٍ إيقاعي يؤدي إلى توازن صوتي يعطي إحساسًا بالحسم. أمَّا البنيةُ العميقة فتتمظهرُ عبر القيم الأخلاقيَّة العليا(الأمانة والعدل)، التي تمثلُ الأنموذجَ الأخلاقي الكامل على عكس ثنائية (الظلم، الخيانة) التي تعكسُ الانهيارَ الأخلاقي أي النظام المضاد، وعليه يمكنُ القول بأنَّ النَّص القرآني يُعيدُ بناءَ نظامِ المجتمع على ثنائيةِ النظام الأخلاقي مقابل الفوضى، فمصدر الأخلاق سلطةٌ إلهيَّةٌ في حين تطبيق الأخلاق يُعد سلطةً بشرية:

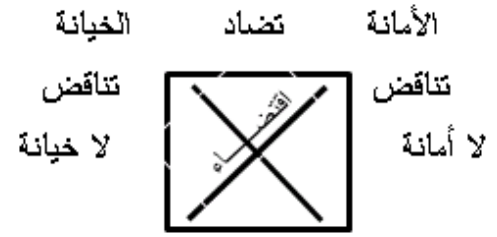

وبناءً على النموذج العاملي فالفاعل هو الإنسان المكلَّف والمرسل الله تبارك وتعالى والمرسل إليه هو الإنسان والمجتمع والموضوع هو الأمانة في أداء الحقوق والعدل في الحكم والمساعد الوعي الديني والنظام الاجتماعي العادل والمعارض الهوى الشخصي والفساد الإداري. وقوله تعالى:﴿ **فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**﴾ الإسراء/٢٣، فمعنى الآية((لا تقل لهما كلاماً تتبرَّم فيه بهما إذا كَبِرَا وأسَنَّا، فينبغي أن تتولَّى من خدمتهما مثل الذي توليا من القيام بشأنك وخدمتك، وَلا تَنْهَرْهُما أي: لا تكلمهما ضَجِراً صائحاً في وجوههما))[١]، الآيةُ القرآنيَّةُ على مستوى البنية السَّطحيَّة تتكونُ لغويًّا من نهيينِ: الأوَّل لا تقل لهما أف فهي علامةٌ صوتيَّة لغويَّة تدل على الضجر والثَّاني ولا تنهرهما علامةٌ على منعِ السّلوكِ الحركي العنيف الذي يتجلَّى في الزجر والتوبيخ، فالنهي في النص القرآني جَاء بصورةٍ مباشرةٍ وقاطعة، فلم يكتفِ بتحريمِ العقوق الشَّديد وحسمَ الأمر بمنعِ أدنى مظاهر التضجر، فالمستوى الدِّلالي يَنتقلُ من أقل درجات الإيذاء اللفظي (أف) إلى درجة أعلى من التَّسلط والإيذاء،؛ لأنَّ النَّص القرآني يُؤسسُ لقيمةٍ ايجابية هي البر والإحسان للوالدين. ووفقًا للنموذج العاملي تكون الذات المخاطَب وهم الأبناء، الموضوع برّ الوالدينِ والمرسِل الله تبارك

١- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ):١٩/٣.

وتعالى المرسَل إليه الإنسان والمساعد الرحمة والمعارض العقوق والمربع السيميائي يمكن تمثيله بحسب العلاقات وهي علاقة التناقض(البر/لا بر)،علاقة التضاد(البر/ العقوق)،وعلاقة الاقتضاء(العقوق/ لا بر، البر/ لا عقوق). أمَّا البنيةُ العميقة للنص فتكشفُ عن تقابلات دلاليَّة عدة وهي الرحمة/القسوة، الاحترام/الإهانة، اللين/ العنف، فالصِّراعُ بين البر والرحمة والاحترام من جهة والعقوق والقسوة والإهانة من جهة أخرى هذه القيم المتصارعة على المستوى العميق للنص هي التي تولِّدُ المعنى الظاهر للنص على رأي غريماس. وفي قوله تعالى:﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ الحجرات/١٢، فمعنى الآية ((ولا يغتب بعضكم بعضا إشارة إلى وجوبِ حفظ عرض المؤمن في غيبته))[1]، يُظهر النص التركيبَ اللغوي المتكون من النهي المباشر لا يغتب، ثم أسلوب الاستفهام أيُحبُّ وهو استفهام مجازي إنكاري لا ينتظرُ جوابًا وإنما الجوابُ مضمنٌ في البنية نفسها؛ لأنَّ أكلَ لحمِ الميت فعلٌ مقزز والغيبةُ كذلك فالاستفهامُ آليةُ للإقناع. إذً فالنصُ يعتمدُ على آليةِ تشخيصٍ مجازي، فالغيبةُ هي فعلٌ لغوي ثم تتحولُ إلى مشهدٍ حسيٍ عنيف فتنشأ صورةٌ مشهديَّةٌ منفرة وهي صورةُ إنسانٍ يأكلُ لحمَ أخيهِ الميت، وتنتهي بإنتاجِ شعور الكراهة لدى المتلقي تمهيدًا لتحريم الغيبة فتنتقل الذاتُ من إمكانيةِ الوقوعِ في الغيبةِ إلى الامتناعِ عنها بعدَ إدراكِ بَشاعتها. والبنيةُ العميقةُ تكشفُ لنا عن شبكةٍ من القيم المتقابلة فالقيمُ الإيجابيَّة هي حفظ ُالأخوة واحترامُ الإنسان وصيانةُ الكرامة، والقيم السلبيَّةُ انتهاك الأخوة والاعتداء على الإنسان وهتك الكرامة، فالغيبةُ في العمق تُعدُ اعتداءً على كرامةِ الأخ وليست كلامًا في غياب الآخر. ووفقًا للنموذج العاملي فإنَّ الذات المؤمن والموضوع حفظ كرامة الإنسان المرسل الله تبارك وتعالى والمرسل إليه الجماعة والمساعد الوعي الأخلاق والمعيق الهوى. والمربع السيميائي يمكن تمثيله بالعلاقات الآتية: التضاد(حفظ الكرامة/ هتك الكرامة)،والتناقض(حفظ الكرامة/عدم حفظ الكرامة)، والاقتضاء(حفظ الكرامة/ عدم هتك الكرامة).

فالنصُ يسعى إلى ترسيخِ مبدأ مفاده أنَّ الإنسانَ يجبُ أن يُصان في غيابهِ كما يُصان في حضوره، وأن أيَّ انتقاصٍ من كرامتهِ يُعدُ خرقًا لنظامِ الأخوة والتضامن الذي يقومُ عليه المجتمع، إذًا النصُ انبنى على الصِّراع بينَ صيانةِ الأخوة والكرامةِ الإنسانيَّة وبينَ انتهاكِها بالغيبةِ والاعتداء الرمزي على الآخر. فالغيبةُ علامةٌ على الانتقالِ من قطبِ الأخوة إلى قطبِ

١- مفاتيح الغيب ، الرازي (ت ٦٠٦هـ): ٢٨/ ١١٢.

العداوة، ولذلك يَهدفُ الخطابُ القرآني إلى تثبيتِ قيمةِ الأخوة ومنعِ كلِّ ما يؤدي إلى تقويضها، وبذلك يصبح النصُ القرآنيُّ مثالًا قويًّا على كيفيةِ عملِ الخطاب في إنتاجِ يقينٍ أخلاقيٍ حاسمٍ لا يتركُ مجالًا للالتباس.

نتائج البحث

في ضوءِ دراستِنا لموضوعِ خطابِ الحسم في القرآن الكريم دراسة سيميائيَّة توصلتُ إلى جملة من النتائج ومن أبرزها:

- كشفت قراءةُ خِطَابِ الحسم في القرآنِ الكريم في ضوءِ المنهجِ السِّيميائي عن ثراءِ البنية الدِّلاليَّة للنص القرآني حيث يتجاوزُ الخطابُ حدودَ البيان اللغوي إلى بناءِ منظومةٍ قيمية محكمة تؤسسُ لليقينِ والحقيقة.
- في ضوءِ دراستنا تبيَّنَ لنا أنَّ خِطَابَ الحسم في القرآن الكريم يمنعُ التعددَ المرجعي، ويقللُ الاحتمالات التأويليّة، ويعملُ على تقريرِ المعنى النهائي، فخطابُ الحسمِ يُقصي المنطقةَ الرماديَّةَ دلاليًّا إذ ينقلُ المتلقي إلى تبني قيمةٍ محددة ورفضِ نقيضها مما يُعيدُ بناءَ العالم وفق حدود فاصلة.
- أظهرت الدِّراسةُ أنَّ آليات النفي في الخِطابِ القرآني لا تعملُ على استبعادِ المعنى المضاد فقط، وإنما تعملُ على تفريغِ المجالِ الدِّلالي من أيِّ مركزٍ منافسٍ للحقيقة القرآنيَّة بِمَا يؤسسُ لنظامٍ دلاليٍ متمركزٍ حولَ المرجعيَّة الإلهيَّة.
- إنَّ خطابَ الحسم في السِّياق العقدي يُسهمُ في بناءِ رؤيةٍ قرآنيَّةٍ للعالم تقومُ على الوضوح العقدي، واغلاق مناطق الالتباس الفكري.
- الآلياتُ اللغويَّةُ المتمظهرةُ في البنية السَّطحيَّة للنص القرآني مثل أسلوب الاستفهام، التكرار، التوكيد وغيرها تُعدُ أدوات مركزيَّة في بناءِ الحسمِ الدِّلالي داخل الخِطاب القرآني.
- تبيَّنَ لنا في ضوء التحليل السيميائي للخطاب القرآني، أنَّ خطابَ الحسم لا يعملُ على مستوى المعنى الظاهر، وإنما يشتغلُ على إنتاج دلالاتٍ عميقة تغلقُ مسارَ التأويل غير َالمنسجم مع المنظومة القرآنيَّة.
- كشفت الدِّراسةُ أنَّ الحسمَ في القَصَصِ القرآني يأتي بعدَ تصاعد التوتر السَّردي ليؤدي وظيفةَ الإغلاق الدِّلالي الذي يُنهي إمكانات التَّوقع البديلة.
- اتَّضحَ من دراستِنا لخِطابِ الحسم أنَّ القرآنَ الكريم لا يُلغي دورَ المتلقِّي من موقعِ السَّائل أو المتردد إلى موقع المذعن للحقيقة.
- أظهرت الدِّراسةُ أنَّ الحسمَ في القرآن الكريم يرتبطُ بالمقاطع ذاتِ الإيقاع الصوتي القوي مما يدلُ على دورِ البنية الصوتيَّة في انتاجِ السُّلطة الدلاليَّة.
- خطابُ الحسم يشتغلُ وفقًا لاقتصادٍ لغوي مكثَّف، فالنصُ القرآني يحملُ شحنةً دلاليَّةً عاليةً.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولا: الكتب المطبوعة:

- الاتجاه السيميولوجي و نقد الشعر، عصام خلف، دار فرحة للنشر، مصر، ٢٠٠٣ م.
- أساس البلاغة، الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، تحقيق، محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
- الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس، منشورات الانجلو المصرية، ١٩٩٩م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي(ت ١٢٠٥هـ)،تحقيق، مجموعة من المحققين.
- التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، مأمون حموش ، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش ،الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.
- التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة العاشرة – ١٤١٣ هـ .
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ط١.
- التقرير والتحبير، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد الحنفي (ت ٨٧٩هـ)، دار الفكر بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت ٣٧٠هـ)، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ه) تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
- دروس في السيميائيات، حنون مبارك، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١،١٩٨٧م.
- دليل الناقد الأدبي، سعد البازعي وميجان الرويلي، منشورات الدار البيضاء، المغرب،ط٣،٢٠٠٢م.
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، – ١٤٢٢هـ.
- السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصوّر شامل: عبد الواحد المرابط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣١ه– ٢٠١٠م.
- السِّيميائيات السَّرديَّة، سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع– سوريا، ط١، ٢٠١٢.
- السيميائية الأصول، القواعد، والتاريخ، مجموعة مؤلفين، ترجمة: رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم: عزالدين المناصرة، ط١،١٤٢٨ه– ٢٠٠٨م:
- شرح المفصل، ابن يعيش(ت٦٤٣ه) تقديم، أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ،ط١،٢٠٠١م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، تح:عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف – بيروت،١٩٩٣م .
- الفروق اللغويَّة: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تح ، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة –مصر.

- في نحو اللغة العربيَّة وتراكيبها: خليل عمايرة، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط٢ ١٩٩٧م.
- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٠م.
- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر،٢٠٠٠م.
- كتاب الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي، (ت ٥١٥هـ)، منشورات عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) تحقيق، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، منشورات دار ومكتبة الهلال.
- الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي(ت ٣٩٥هـ)دراسة وتحقيق، زهير عبد المحسن سلطان، منشورات مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة(ت٤٥٨هـ)، تحقيق، خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، محمد بن علي الفيومي(ت نحو ٧٧٠هـ)، منشورات المكتبة العلمية – بيروت .
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس(ت٣٩٥ه)، تح: عبد السلام محمَّد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيدين علي بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد –حلب، ط١، ١٩٧٩م.
- مقالات في الأسلوبية، منذرعياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،ط١، ١٩٩٠م.
- المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق: أ.غ. غريماس وج. كورتيس وآخرون، ترجمة وتقديم، عبد الحميد بورايو، دار التنوير– الجزائر، ط١، ٢٠١٤م.
- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسن، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨م.

ثانيا: البحوث المنشورة

- البنية العميقة لعناصر التحويل بالحذف والرتبة في الخطاب الشعري الحديث قصيدة ساعة الصفر لمحمد صالح باوية: مريم صاحي، صفية مطهري، مجلة جسور المعرفة، مج٩،ع٢، مارس٢٠٢٣م.
- الخطاب القرآني وأنواعه دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني :خالق داد ملك و معين الحق، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور– باكستان، ع٢٢، ٢٠١٥م.
- فلسفة المبني للمجهول في العربيَّة، حسين إرشيد العظامات، بحث منشور في مجلة المنارة، مج ١٧،ع٧ ،٢٠١١م.
- قراءة سيميائية في طوق الحمامة لابن حزم الظاهري، بوقرة نعمان، النادي الأدبي الثقافي، جدة السعودية، مجلة جذور ،ع١٢، ٥٣٥.
- **شبكة الانترنت**
- الخطابُ العقائدي بين طريقة القرآن أسلوب المتكلمين: حسن الخشن مقال منشور على شبكة الانترنت.